MALAYSIAN JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES
© PENERBIT UNIVERSITI SULTAN ZAINAL ABIDIN
e-ISSN: 2550-2042
http://dx.doi.org/

MALAYSIAN JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES MJIS
https://journal.unisza.edu.my/mjis

[DESERTING MEDITATION OF THE GLORIOUS QUR'AN IN NIGERIA: CAUSES AND SOLUTION]

العزوف عن تدبر القرآن الكريم في نيجيريا: دوافع وحلول

[1]NASIRUDEEN ABDULRAHIM ADEYANJU*
[2]KOLO MALUM BARDE
[1]RABIU IBRAHIM YUSUF

[1] Department of Religious Studies,
Gombe State University,
Gombe, Nigeria

[2] Department of Religious Studies,
Federal University Kashere,
Nigeria

*Corresponding author: nasrahim222@gmail.com

Received Date: 21 March 2020 • Accepted Date: 12 April 2020

Abstract

Meditating the Glorious Qur'an is one of the fundamental goals of its revelation for it advances faith, righteousness and morality, purifies the soul as well as promotes good systems. Many Nigerian Muslims, even if they recite and listen to Allah's word, they hardly ponder over it. In view of this, the analysis examined factors responsible for this phenomenon with the aim of proffering solution to it. Using both descriptive and analytic methods, the paper identified lack of constant reciting and listening to the Glorious Qur'an, erroneous understanding of the ultimate objective of revealing and reading it, being preoccupied with observing mistakes and otherwise during its recital, deficiency in Arabic language, deserting tafsir literature and using the Qur'an as a source of livelihood as major hindrances against meditating the Book of Allah. It therefore, suggested that frequent reading and attentive listening to the Glorious Qur'an, learning Arabic language and studying tafsir literature, among others, will go a long way in overcoming this challenge. The paper recommended reviewing method of teaching the Qur'an in the country and adoption of Arabic as the language of communication in teaching Arabic subjects as well as medium of instruction for students of Islamic studies in Nigerian tertiary institutions.

Keywords*: Meditation, Meditating the Qur'an, Reciting the Qur'an and Deserting Meditation.*

المخلص

إن تدبر كلام الله سبحانه وتعالى من الغايات التي من أجلها أنزل القرآن الكريم لما يترتب عليه من رسوخ الإيمان وزكاء النفوس وصلاح الأعمال واستقامة الأخلاق وسلامة الأنظمة. وقد غفل كثير من المسلمين في نيجيريا عن تدبر كلام ربهم وإن قرؤوه أو استمعوا إليه. لهذه المشكلة استهدفت المقالة تلمس الأسباب التي أدت إلى هذه الغفلة والبحث عن العوامل التي تعين على التغلب عليها. وباستخدام المنهج الوصفي التحليلي توصلت إلى أن من أهم هذه الأسباب قلة قراءة القرآن الكريم والاستماع إليه، والخطأ في فهم الغاية من إنزال القرآن وتلاوته، والانكباب على تتبع الأخطاء، والانشغال بأمور أخرى أثناء القراءة، وعدم فهم العربية، والبعد عن كتب التفسير والاسترزاق بالقرآن. كما توصلت الورقة إلى أن من العوامل التي تعين على التغلب على هذه الأسباب كثرة قراءة القرآن الكريم والإصغاء إليه بالترسل والإخلاص وحضور القلب، وبذل الجهد في تعلم العربية ومطالعة كتب التفسير، والعلم بأن القرآن لم ينزل للقراءة فقط، وإنما أنزل للقراءة والفهم والتدبر والإيمان والعمل. وأوصت المقالة بتحسين طريقة تدريس مادة القرآن الكريم في مدارس نيجيريا وتدريس مادة العربية باللغة العربية. كما أوصت بتدريس مواد الإسلاميات للمتخصصين في الإسلاميات في جامعاتها باللغة العربية بدلا من الإنجليزية.

الكلمات المفتاحية: التدبر، تدبر القرآن، تلاوة القرآن، العزوف عن التدبر

Cite as: Afaf Salman, Wan Mohd Yusof Wan Chik & Faruq Abdullah. 2020. Al-Azuf ‘an tadabbur al-Qur’an al-Karim fi Nijiriyya: Dawafiq wa al-Hulul. *Malaysian Journal for Islamic Studies* 4(1): 75-93.

المقدمة

الحمد لله الذي اختص هذه الأمة بخير كتبه ويسر لها قراءته وفهمه وتدبره والعمل به. والصلاة والسلام على خير من تعلم القرآن وعلمه وامتثل بأوامره ونواهيه حتى كان خلقه القرآن. صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى أهله الأطهار وصحبه الأخيار ومن اتبع نهجه القويم إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد أنزل الله تعالى كتابه المجيد ليهدي الناس إلى ما هو خير لهم في دينهم ودنياهم، ويخرجهم من الظلمات بجميع أنواعها إلى النور. قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: 1]. ولا تتحقق هذه الغاية النبيلة من إنزال القرآن الكريم بحفظه ومعاودة قراءته وختمه فحسب، بل لا بد من فهمه وتدبره تدبرا هادفا يقود إلى اليقين والعمل والاتعاظ. ولهذا ندب سبحانه وتعالى

إلى تدبره مخبرا أنه من أهم غايات إنزاله فقال سبحانه: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29]. وأنكر على من أعرض عن تدبره أيّما إنكار، فقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24].

إن المتأمل لأحوال المسلمين في نيجيريا يلاحظ اهتمامهم الباهر بتعلم القرآن الكريم وتعليمه، وتلاوته وحفظه، ولا أدل على ذلك من فشو مدارس القرآن الكريم وانتشار طلابها في قرى ومدن هذه الدولة الفيحاء، وكثرة حفظة القرآن الكريم ونساخه، وتنظيم المسابقات القرآنية على المستويات المدرسية والإقليمية والولائية والوطنية، وتفوّق أبنائها في المساباقات القرآنية الدولة في شتى البلاد، كالمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ومصر وماليزيا وغيرها. بيد أن هذا الاهتمام قاصر على تحسين الصوت بقراءة القرآن وتجويده وحفظه وتلاوته بمختلف القراءات والروايات، والتبرك بختمه، بغض النظر عن تفهم معانيه وتدبر آياته في الغالب، وترتب على ذلك قلة التأثر بالقرآن الكريم والاستنارة به في تقويم شؤون البشر. وما هذه الانحرافات الخلقية والنكبات العديدة التي تعاني منها الأمة المسلمة في هذه الدولة إلا نتيجة لغفلتهم عن تدبر كلام ربهم والعمل به. فالقرآن كما وصفه الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9]. فتدبر القرآن والوقوف عند معاني آياته وحكمه من الأمور المهمة التي تتحقق بها سلامة الاعتقاد، واستقامة الأخلاق، وصلاح الأنظمة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية والصحية وغيرها.

وبما أن لكل حادث سبب، وبما أن معرفة الداء سلم الوصول إلى الدواء المناسب، استهدفت هذه المقالة تلمس الأسباب التي أدت إلى غفلة مسلمي نيجيريا عن تدبر القرآن الكريم بغية الوصول إلى حلول ملائمة لها. وقد تم تناول الموضوع عبر العناصر الآتية:

مفهوم تدبر القرآن الكريم

التدبر لغة مصدر تدبر وهو مأخوذ من مادة (د ب ر) وأصله آخر الشيء وخلفه. قال ابن فارس: "أصل هذا الباب أن جله في قياس واحد، وهو آخر الشيء وخلفه خلاف قُبُلِه." (ابن فارس، 1979) وقال ابن منظور: "الدُّبُرُ والدُّبْرُ نقيض القُبُل ودُبُرُ كل شيء عقبه ومُؤخَّرُه وجمعهما أدبار، ودُبُرُ كل شيء خلاف قُبُلِه في كل شيء." (ابن منظور، 1405هـ)

ومدار التدبر في أصله اللغوي النظر والتأمل والتفكر في آخر الأمر وعاقبته. قال الزمخشري: "تدبُّر الأمر تأمُّله والنظر في إدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل؛ فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه." (الزمخشري، 1407هـ) وقال ابن منظور: "وتَدَبَّره نظر في عاقبته ... والتدبر التفكر فيه." (ابن منظور، 1405هـ) وقال ابن القيم: "وتدبُّر الكلام: أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرة؛ ولهذا جاء على بناء التفعل كالتجرع والتفهم والتبين." (ابن القيم، د.ت.)

وأما التدبر في الاصطلاح فعرفه السعدي بأنه "التأمل في معانيه – أي القرآن – وتدقيق الفكر فيه وفي مبادئه وعواقبه." (السعدي، 2000) وعرفه ابن عاشور بأنه "التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه بحيث كلما ازداد المتدبر تدبرا انكشفت له معان لم تكن بادية له بادئ النظر." (ابن عاشور، 1997) وقال سلمان السنيدي: "هو تفهم معاني ألفاظه – أي القرآن – والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة، وما يدخل في ضمنها وما لا يتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك بخشوعه عند مواعظه وخضوعه لأوامره وأخذ العبرة منه." (السنيدي، 2002) و"صفة ذلك أن يشغل قلبة بالتفكير في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مر بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ، أو تنزيه نزه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب." (السيوطي، 1974)

وانطلاقا من التعريفات المذكورة يمكن القول بأن المفهوم الاصطلاحي لتدبر القرآن الكريم هو بذل الجهد الذهني للوصول إلى غايات الآيات القرآنية ومقاصدها عن طريق إعمال الفكر والتأمل في فهم الآيات مستعينا بسياقها وسوابقها ولواحقها وأسباب نزولها وغير ذلك مما يعين على هذه العملية للاعتبار والاستبصار والتطبيق.

أهمية تدبر القرآن الكريم

إن تدبر القرآن الكريم وإمعان النظر في آياته وأمثاله وقصصه والتأمل في أوامره ونواهيه يعين على دقة الفهم، ويفضي إلى رسوخ الإيمان وملازمة العمل الصالح، كما يجعل الإنسان مراقبا لمولاه، راغبا في رضاه، راهبا من سخطه، مميزا للصحيح من السقيم، والطيب من الخبيث، سويا في أخلاقه، حكيما في تصرفاته، قويما في أنظمته. إن تدبر القرآن عملية عقلية تؤدي إلى يقظة الأفراد ونهضة الأمم وسعادة البشر في الدنيا والآخرة. وما أروع وصف ابن القيم لأهمية تدبر القرآن حيث قال: "فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع الفكر على معاني آياته؛ فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما ومآل أهلهما، وتتل في يده مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتشيد بنيانه وتوطد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم وتريه أيام الله فيهم، وتبصره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله وما يحبه وما يبغضه وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرفه النفس وصفاتها ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه وافتراقهم فيما يفترقون فيه." (ابن القيم، 1973)

ولهذا أمر الله سبحانه وتعالى بتدبر القرآن الكريم وبين أنه من أهم غايات إنزاله فقال جل من قائل: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29]. قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – منبها على أهمية التدبر: "ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقيه؛ من لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يرخص لهم في معصية الله، ولا يؤمنهم من مكر الله ولا يترك القرآن إلى غيره. ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا خير في

فقه ليس فيه تفهم، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر." (المروزي، 1998) وقال النووي: "اعلم أن تلاوة القرآن هي أفضل الأذكار، والمطلوب القراءة بالتدبر." (النووي، 1994) وقال في موضع آخر: "فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة، والدلائل عليه أكثر من أن تحصر، وأشهر وأظهر من أن تذكر، فهو المقصود والمطلوب، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب." (النووي، 1414هـ) وقال السيوطي: "وتسن القراءة بالتدبر والتفهم، فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب." (السيوطي، 1398هـ)

وبدون تدبر القرآن والعمل به يكون حال المسلمين كحال اليهود الذي آتاهم الله سبحانه التوراة فلم يعملوا بها ونبذوها وراء ظهورهم، فضرب لهم الرحمن مثلا بالحمار الذي يحمل فوق ظهره كتبا عظيمة لا يستفيد منها، كما في قوله سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: 5].

أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف مع تدبر القرآن الكريم

لأهمية تدبر القرآن الكريم وفوائده الجمة حفلت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنماذج رائعة لتدبره لكتاب ربه الحكيم، ومن ذلك ما رواه مسلم بن مخراق أن أم المؤمنين عائشة — رضي الله عنها – "ذكر لها أن ناسا يقرؤون القرآن في الليلة مرة أو مرتين فقالت: أولئك قرؤوا ولم يقرؤا، كنت أقوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التمام، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله عز وجل واستعاذ، ولا يمر بأية فيها استبشار إلا دعا الله عز وجل ورغب إليه." (أحمد، 1999) والحديث دليل على أنه ينبغي للقارئ في الصلاة تدبر ما يقرؤه وسؤال رحمته والاستعاذة من عذابه. (الصنعاني، 1960)

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: "قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى أصبح بآية، والآية ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118]" (النسائي، 1986، وابن ماجه، د.ت)

وروي أبو الضحى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقْرَأْ عَلَيَّ. قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ. قَالَ: إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي. قَالَ: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41] قَالَ لِي. كُفَّ أَوْ أَمْسِكْ. فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ." (البخاري، 1981، ومسلم، د.ت.) قال ابن بطال: "يحتمل أن يكون كي يتدبره ويفهمه وذلك لأن المستمع أقوى." (ابن بطال، 2003)

وعن أبي وائل رضي الله عنه قال: "جاء رجل يقال له نهيك بن سنان إلى عبد الله فقال: يا أبا عبد الرحمن، كيف تقرأ هذا الحرف ألفا تجده أم ياء ﴿مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد: 15] أو ﴿مِنْ مَاءٍ غَيْرِ يَاسِنٍ﴾ [محمد: 15]؟ قال: فقال عبد الله: وكل القرآن قد أحصيت غير هذا؟ قال إني لأقرأ المفصل في ركعة. فقال عبد الله هذا كهذ الشعر، إن أقواما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع، إن أفضل الصلاة

الركوع والسجود، إنى لأعلم النظائر التى كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقرن بينهن سورتين فى كل ركعة. ثم قام عبد الله فدخل علقمة فى إثره ثم خرج فقال قد أخبرنى بها." (البخاري، 1981، ومسلم، د.ت.) يستفاد من الحديث النهي عن الهذ، وفيه الحث على الترسل والتدبر. (العيني، 2006) كما أن فيه كراهية الإفراط في سرعة التلاوة لأنه ينافي المطلوب من التدبر والتفكر في معاني القرآن، وأن الترتيل أفضل من الهذ إذ لا يصح التدبر مع الهذ. (ابن حجر، 1379هـ)

كما سجلت الأخبار الصحيحة كيف تأسى الصحابة الكرام ومن بعدهم من السلف الصالح بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءة القرآن الكريم بالتدبر والتأمل. من ذلك ما ورد عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا." (ابن تيمية، 1980)

وقال أبو حمزة رحمه الله: قلت لابن عباس رضي الله عنه: "إني سريع القراءة أقرأ القرآن في مقام، فقال ابن عباس رضي الله عنه: لأن أقرأ البقرة فأرتلها وأتدبرها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كما تقول. وفي رواية: لأن أقرأ البقرة في ليلة أتدبرها وأفكر فيها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله في ليلة." (المروزي، 1998)

وعن مسروق قال: "قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيته قام ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله عز وجل فيركع ويسجد ويبكي ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: 21]" (الطبراني، 1983)

وعن سعيد بن عبيد قال: "رأيت سعيد بن جبير وهو يؤمهم في رمضان، يردد هذه الآية ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ [غافر: 71] ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: 6-7] يرددها مرتين أو ثلاثا" (عبد الرزاق، 1403هـ)

وقال محمد بن كعب القرظي: "لأن أقرأ (إذا زلزلت) و(القارعة) أرددهما وأتفكر فيهما أحب إلى من أن أهذ القرآن هذا." (ابن أبي شيبة، 1409هـ)

وفال أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنهما: "إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربكم فكانوا يتدبرونها بالليل ويتفقدونها بالنهار." (الغزالي، د.ت.)

يتبلور من هذه الأخبار هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهج أسلافنا الصالحين في التعامل مع القرآن حيث لازموا قراءته والاستماع إليه بتأمل وتدبر، فكان للقرآن أثر بليغ في حياتهم وتصرفاتهم. أما في أيامنا هذه فقد انشغل كثير من المسلمين في هذه الدولة عن المواظبة على تلاوة القرآن والإصغاء إليه فضلا عن تدبره، وحتى الذين يواظبون على قراءته فقل منهم من يفعل ذلك بتدبر وتعقل، وما أحوجنا إلى التمسك بالمنهج النبوي القويم في التعامل مع كتاب الله عز وجل.

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في تدبر القرآن الكريم

اختص الباري جل وعلا أفضل رسله محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم أفضل كتبه المنزلة، وأمره بتلاوته وتدبره والعمل به وتبليغه أمته المفضلة. كما أمرنا الله سبحانه وتعالى باتباع سنة رسوله الشريفة والتأسي بهديه القويم في شؤوننا كلها فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 1]. ومن ذلك منهجه صلى الله عليه وسلم في تلاوة القرآن الكريم وتدبره. فمن هديه صلى الله عليه وسلم في ذلك أنه كان يتغنى بالقرآن الكريم ويحسن الصوت به. فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بـ {التين والزيتون} في عشاء الآخرة فما سمعت أحسن قراءة منه." (ابن خزيمة، 1992) وكان يعجبه الصوت الحسن، فعن أبي هريرة قال: "دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فسمع قراءة رجل فقال: من هذا؟ فقال: عبد الله بن قيس، فقال: لقد أوتي هذا مزامير آل داود." (ابن أبي شيبة، 1409هـ) ومن هديه صلى الله عليه وسلم أنه كان يرتل القرآن ترتيلا، لا هذا ولا عجلا، بل قراءة مفسرة مترسلا امتثالا بقول الله سبحانه: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآَنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: 4]. فعن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها قالت: "ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في سبحته قاعدا حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سبحته قاعدا، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها." (مسلم، د.ت) وعن قتادة رحمه الله تعالى قال: "سئل أنس: كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كانت مدا، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يمد ببسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم". (البخاري، 1981) وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: "كان يقطّع قراءته آية آية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(4)﴾، [الفاتحة: 1-4] (أبو داود، د.ت) وترتيل القراءة يعطي فرصة للعقل ليفهمها، وللقلب ليتأملها، ومن ثم تقع الموقع المناسب فيتأثر بها القارئ والمستمع. ولذلك نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن الإسراع في القراءة سبب في عدم تفقه القرآن الكريم وتدبره فقال فيما ورد عن ابن عمرو رضي الله عنه: "لاَ يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثٍ" (أبو داود، د.ت)

ومن هديه كذلك التوقف عند الآية وتكرارها حتى إنه كان يقرأ آية واحدة ويرددها في ليلة كاملة لما في ذلك من الإعانة على تأمل معانيها ومراميها والتأثر بها وتعلق القلب بها. فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: "قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية حتى أصبح يرددها والآية: (﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118]" (النسائي، 1986، وابن ماجه، د.ت)

كما أن من الهدي النبوي الشريف في تدبر القرآن التفاعل مع آياته الكريمة والإحساس بها والاستجابة لتوجيهاتها، فإذا مر بآية تسبيح سبح، وإذا مر بآية سؤال سأل، وإذا مر بآية تعوذ تعوذ كما في حديث صاحب سر الرسول صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: "صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة. ثم مضى فقلت يصلى بها فى ركعة فمضى فقلت يركع بها. ثم افتتح النساء فقرأها

ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلا؛ إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل؛ وإذا مر بتعوذ تعوذ." (مسلم، د.ت)

ومن التفاعل مع القرآن الكريم والاستجابة لتوجيهاتها السجود عند تلاوة الآيات التي تتضمن الأمر بالسجود أو التي يذكر فيها حال عباد الله الصالحين الراكعين الساجدين. فقد ثبت سجوده في هذه الآيات في أحاديث صحيحة منها ما ورد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: "قرأ النبي صلى الله عليه وسلم (النجم) بمكة فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفا من حصى أو تراب ورفعه إلى جبهته وقال: يكفيني هذا. فرأيته بعد ذلك قتل كافرا." (البخاري، 1981)

ومن ذلك أيضا البكاء عند تلاوة القرآن الكريم والاستماع إليه، سيّما عند آيات التخويف والإنذار. فعن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه المذكور آنفا.

ومن هديه كذلك حب سماع القرآن الكريم من غيره، فقد طلب من الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه السالف وحديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود.) (مسلم، د.ت)

أسباب العزوف عن تدبر القرآن الكريم

لا شك أن للعزوف عن تدبر القرآن الكريم أسبابا متنوعة، ودوافع متباينة، تختلف من شخص لآخر، وقد يجتمع في إنسان أكثر من سبب. وفيما يلي أهم الأسباب التي أدت إلى هذه الظاهرة في نيجيريا:

أولا: قلة تلاوة القرآن الكريم والاستماع إليه

من الخصال المحمودة التي لا مناص من تسجيلها للمسلمين في هذه الدولة الاهتمام الفريد بتعلم القرآن الكريم. فما أن يبلغ الطفل النيجيري المسلم السن الثالث من عمره حتى ترسله أسرته إلى إحدى مدارس القرآن أو أكثر لينشأ على تعلمه. وبعض الأسر تبعث أبناءها ليسكنوا مع شيوخهم حتى ينقطعوا لتعلم القرآن وحفظه. ويتخرج الفرد من هذه المدارس وهو يحسن قراءة القرآن نظريا مع حفظه لبعض السور أو القرآن كاملا. ولكنه من الملاحظ أن من الأفراد الذين مَنَّ الله عليهم بحفظ كتابه من ينفلت منه جل ما حفظ بمرور الأيام لإعراضه عن المراجعة، بينما ينشغل من لا يحفظ منه إلا اليسير بأمور أخرى، وربما لا يفتح المصحف للقراءة إلا في أيام رمضان أو في مناسبات تتطلب منه ذلك. كما أنه لا يستمع إلى تلاوة القرآن الكريم إلا ما يقرؤه الإمام في الصلاة أو ما يفتتح أو يختتم به الحفلات والمواسم والاجتماعات من آيات الذكر الحكيم. ومن كانت هذه حاله من البعد عن قراءة القرآن الكريم والإصغاء إليه لا شك أنه يكون عن تدبره أبعد. (أدينجو، 2014)

ثانيا: الخلل في فهم الغاية من إنزال القرآن الكريم

يبدو أن البعض يظن أن الغاية من إنزال القرآن الكريم هي القراءة والحفظ فقط، فيكرس كل جهده في سرعة التلاوة وتوالى الختمات، وربما واظب على ختم القرآن في كل يوم أو يومين دون أن يبالي بمعرفة معنى أية مما يقرأ أو تدبرها أو العمل بمقتضاها. وقد نبه على هذا الخلل بعض أهل العلم. فعن القاسم بن عوف الشيباني قال: سمعت ابن عمر يقول: "لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدثنا يؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده فيها كما تعلمون أنتم القرآن. ثم قال: لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، ينثره نثر الدقل" (الحاكم، 1990) وقال الحسن البصري: "أمر الناس أن يعملوا بالقرآن فاتخذوا تلاوته عملا." (ابن القيم، 1973) وعد ابن الجوزي هذا الصنيع من تلبيس إبليس فقال: "وقد لبس على قوم بكثرة التلاوة فهم يهذون هذا من غير ترتيل ولا تثبت، وهذه حالة ليست بمحمودة." (ابن الجوزي، 2001)

ثالثا: الإفراط في التغني بالقرآن الكريم

لا شك أن التغني بالقرآن الكريم وتحسين الصوت به مطلوب شرعا كما دل علي ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ) (البخاري، 1981) وعن عبد الجبار بن الورد قال: "سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي يَزِيدَ: مَرَّ بِنَا أَبُو لُبَابَةَ فَاتَّبَعْنَاهُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ فَإِذَا رَجُلٌ رَثُّ الْبَيْتِ رَثُّ الْهَيْئَةِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ.) قَالَ: فَقُلْتُ لِابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَ إِذَا لَمْ يَكُنْ حَسَنَ الصَّوْتِ؟ قَالَ: يُحَسِّنُهُ مَا اسْتَطَاعَ." (أبو داود، د.ت.)

لكن التغنّي كما بين أهل العلم (ابن القيم، 1986) على وجهين، أحدهما: ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف وخروج عن قواعد التجويد. وهذا هو المطلوب شرعا إذ هو الباعث على تدبر القرآن وتفهمه، والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة. (ابن كثير، 1416هـ) والوجه الثاني ما كان من ذلك صناعة من الصنائع، لا يحصل إلا بتكلف وتصنع وتغن بأنواع من الألحان على إيقاعات مخصوصة، وأوزان مخترعة، شبيهة بالتغني بالأبيات والأناشيد، لا تراعى فيه أحكام التجويد ولا قواعد الوقف والابتداء، فضلا عن سياق الآيات. ويتضمن هذا الوجه مد ما ليس بممدود، وترجيع الألف الواحد ألفات، والواو واوات، والياء ياءات، فيؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن، وصرف القارئ والمستمع عن تدبر المتلو، وذلك غير جائز. وقد دب هذا الوجه في أوساط بعض القراء في هذه الدولة، وولع بعض العامة بالاستماع إليهم، فتجد بعضهم يصيح بأعلى صوته مكبرا مهلل الوجه أو مبتسما لعذوبة التغني حيث يتلو القارئ آيات تتعلق بالنار والعذاب والهلاك ونحوها. وهذا بلا شك مانع من التدبر.

رابعا: الانكباب على تتبع الأخطاء

ومن الأسباب التي تحول بين بعض المنشغلين بالقرآن في هذه البلاد وبين تدبره تتبع الأخطاء والغلو في العناية بمخارج الحروف وصفاتها وغيرها من أحكام التجويد دون أدنى تعلق بالمعاني والدلالات. ومن أعجب العجاب أن تسمع طالبا مبتدئا في علم التجويد يخبر بوجود أخطاء تجويدية في تلاوة أئمة القرآن من أمثال الشيخ خليل الحصري والشيخ عبد الباسط عبد الصمد والشيخ محمد صديق المنشاوي والشيخ عبد الرحمن السديس، ولا يهمه عند سماع قراءتهم إلا ملاحظة مواضع الأخطاء المزعومة. مع أن هذا الزاعم لو يتتبع أخطاؤه لا تسلم آية يقرؤها من ملاحظة. وهذا يعود إلى طريقة التعليم التي غرست في أذهان بعض طلبة العلم، فأصبح أكبر همهم البحث عن أخطاء الناس. ولا يقول الباحث إن جودة الأداء ليست غرضا مطلوبا ولكن لا ينبغي أن يصرف المسلم عن الغاية الأسمى للقرآن الكريم. وقد حذر الإمام الغزالي في الإحياء عن هذا الدأب منبها على أنه من تلبيس الشيطان في الصرف بالمهم عن الأهم فقال: "وحجب الفهم أربعة: أولها أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه، فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف، فأنى تنكشف له المعاني! وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس." (الغزالي، د.ت.)

خامسا: الجهل باللغة العربية

من أهم الصوارف عن تدبر القرآن في نيجيريا عدم فهم أغلب شعبها اللغة العربية، فالشعب النيجيري على اختلاف ألسنتهم عجم، لا يعرف أغلبهم من العربية سوي الحروف والحركات، أما فهم ما تحتويه تلك الحروف والحركات من المعاني والدلالات فلا يدركه إلا نزر يسير ممن تعلموا اللغة. ومما يزيد الأمر علة ابتعاد كثير من الأغلبية الساحقة التي لا تفهم العربية عن تراجم معاني القرآن الكريم إلى لغاتهم الأصلية. ولا يتصور تدبر كلام ممن لا يفهمه. (أدينجو، 2014) وفي مثل هذا الصنف من الناس يقول شيخ المفسرين، ابن جرير الطبري – رحمه الله –:"إني أعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته." (الطبري، 2000)

سادسا: البعد عن كتب التفسير

يغتر بعض من تعلم اللغة العربية بإتقانه إياها فيظن أنه لا حاجة له إلى كتب التفسير لفهم القرآن الكريم. ومن استغنى عن مؤلفات التفسير وأعرض عنها، جهل أسباب نزول الآيات، والتبس عليه الناسخ من المنسوخ، ونحو ذلك مما يعين على فهم آي التنزيل، فكيف يعلم التأويل الصحيح؟ وكيف يحصل له تدبر سليم؟ (أدينجو، 2014)

سابعا: الاسترزاق بقراءة القرآن الكريم

من الظواهر الشائعة في نيجيريا والتي تساهم في صرف الكثير عن تدبر القرآن الكريم جعل القرآن سُلّما للوصول إلى المال. ويظهر ذلك جليا فيما في شاع في هذه الأيام من أنه إذا من الله تعالى على أحد بامتلاك مسكن أو ركوب أو إنشاء مصنع أو دكان أو رُزق بمولود تسارع إليه حاملو القرآن مهنهين وطالبين أن يسند إليهم ختم القرآن أو قراءة ما تيسر منه للتبرك والتعوذ. وَلَيْتَهُم يقومون بذلك ابتغاء وجه الله تعالى، ولكنهم يفعلون ذلك مقابل مبلغ من المال يدفع لهم بقدر عدد الختمات أو الأجزاء أوالسور المقروءة. ويقسم القراء المبلغ المدفوعة بينهم حسب الأجزاء التي قرأ كل منهم، فالذي قرأ أكثر حصل على مبلغ أكثر. ولهذا يكون هَمُّ كل منهم الإسراع في القراءة كي يكثر نصيبه من المال، ما أن يفتح صفحة من القرآن إلا وعينه في آخرها لينتقل إلى الصفحة التالية.

وكذلك إذا قضى مسلم نحبه أشار هؤلاء القراء إلى ورثته بالتشفع له بالقرآن الكريم، فيقومون بختم القرآن أو قراءة سورة الإخلاص مرات عدة، تصل إلى مئة ألف مرة أحيانا، سيما إذا كان ورثة المتوفي من أهل الدثور. وكل ما يقرؤون بمقابل من المال. وليت شعري أنى يكون في هذه الحالة تدبر! (أدينجو، 2014)

ثامنا: انشغال القلب بغير المتلو

حضور القلب أثناء قراءة القرآن الكريم مطلوب في تعقله وتدبره. والقلب المشغول عن القرآن بأمور أخرى لا يتأثر به لانشغاله بأودية الدنيا وغفلته عن آيات الذكر الحكيم. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بعد استعراض أحوال أهل الجنة وأهل النار وذكر ما حل بالأمم التي عصت أمر ربها في سالف الزمان، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37]. قال ابن القيم معلقا على هذه الآية الكريمة: "والناس ثلاثة: رجل قلبه ميت فذلك الذي لا قلب له فهذا ليست هذه الآية ذكرى في حقه. الثاني: رجل له قلب حي مستعد لكنه غير مستمع للآيات المتلوة التي يخبر بها الله عن الآيات المشهودة؛ إما لعدم ورودها أو لوصولها إليه ولكن قلبه مشغول عنها بغيرها فهو غائب القلب ليس حاضرا فهذا أيضا لا تحصل له الذكرى مع استعداده ووجود قلبه. والثالث: رجل حي القلب مستعد تليت عليه الآيات فأصغى بسمعه وألقى السمع وأحضر قلبه ولم يشغله بغير فهم ما يسمعه فهو شاهد القلب ملق السمع فهذا القسم هو الذي ينتفع بالآيات المتلوة والمشهودة." (ابن القيم، 1998)

الأمور المعينة على التغلب على هذه الأسباب

بعد استعراض أهم الأسباب التي تصرف عن تدبر القرآن وتنأى عن تأمله والتفكير في مغزى آياته الكريمة، يحسن وصف أدوية تساعد في علاج تلك الأدواء وتعين على الاستفادة الكاملة من التنزيل الحكيم. وفيما يلي أهمها:

أولا: المواظبة على قراءة القرآن الكريم والاستماع إليه

المراد بالمواظبة على قراءة القرآن الكريم أن يجعل المسلم لنفسه نصيبا يوميا يقرؤه ويتعاهده بحيث يمكنه ختم القرآن حسب الحزب الذي خصصه لنفسه. ولا يليق بمسلم ألا يكون له وِرد من كتاب الله تعالى يلتزمه كل يوم، قل أو كثر، لما فيه من التعبد والتعاهد للقرآن الكريم وعدم هجرانه. إضافة إلى ما فيه من إصلاح النفس وتزكيتها والإعانة على التدبر والمداومة على العمل الصالح، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل.) (مسلم، د.ت.) وبين أن العبد يكتب له حزبه إذا عرض له عذر فقال عليه الصلاة والسلام: (إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا.) (البخاري: 1981) فلا عجب إذا من تضافر الأخبار أن للسلف من الصحابة ومن بعدهم أورادا من القرآن يقرؤه كل منهم على قدر طاقته. ومن لا يقرأ القرآن فمتى يتدبره؟!

وينبغي أن لا يستغني المسلم بتلاوته للقرآن العظيم عن الاستماع إليه من غيره، فإن ذلك أيضا مما يعين على تدبره والتأثر به. وقد أمر الباري جل قدره بالإصغاء إلى القرآن الكريم فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 204] قال الإمام الطبري في تفسيره للآية الكريمة: "إذا قرئ عليكم، أيها المؤمنون القرآن فاستمعوا له وأصغوا له سمعكم، لتتفهموا آياته وتعتبروا بمواعظه، وأنصتوا إليه لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه، واعتباركم بعبره، واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه في آيه." (الطبري، 2000)

ولقد أثنى الله سبحانه على الجن عند سماعهم للقرآن فقال: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [الجن: 1] وأخبر تعالى في الأحقاف بما لهذا الاستماع من ثمار طيبة من تمكن الإيمان في قلوب هذا النفر من الجن واندفاعهم إلى إبلاغ رسالة ربهم إلى قومهم وإنذارهم من مغبة الكفر فقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحقاف :29-32]

وللأمة في رسولها الحبيب أسوة في هذا المنوال. فعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقْرَأْ عَلَيَّ. قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ. قَالَ: إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي. قَالَ: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41] قَالَ لِي. كُفَّ أَوْ أَمْسِكْ. فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ." (البخاري، 1981، ومسلم، د.ت.). إن هذ ا الحديث لخير دليل على ما للإصغاء إلى القرآن بحضور القلب والتدبر من تأثير بليغ على المصغي.

ثانيا: الترتيل وحضور القلب

من الأمور المعينة على التدبر أن يكون القارئ مترسلا، يقرأ بتؤدة وطمأنينة، لا يجعل همه آخر السورة، ولا هدفه الكم والعدد، ومتى سيختم ليبدأ رحلة جديدة يختمه سريعا أيضا. والتعجل في القراءة مخالف للمنهج القويم ويفوت على القارئ المقصود الأعظم من تلاوت القرآن. ولذلك أمر سبحانه وتعالى بالترسل في التلاوة فقال: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: 4] قال ابن كثير في تفسير الآية الكريمة: "اقرأ على تمهل؛ فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره." (ابن كثير، 1999)

ولما أخبر رجل ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ المفصل في ليلة أنكر ذلك عليه وقال: "هذا كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرن بيهن. فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين في كل ركعة." (البخاري، 1981)

وهذا الترتيل يتطلب حضور القلب لأنه أدعى للانتفاع والتأمل، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37]. وفي وذلك يقول ابن القيم: "قاعدة جليلة: إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه فإنه خاطب منه لك على لسان رسوله." (ابن القيم، 1973)

ومما يعين على حضور القلب استشعار عظمة الله تعلى وعظمة كلامه، واختيار الوقت المناسب والبيئة الملائمة، والقراءة على طهارة، وافتتاح التلاوة بالاستعاذة والبسملة، وحصر الفكر على المتلو، وتفريغ النفس من الشواغل، والبكاء والتباكي والجهر بالقراءة بدون إفراط ولا تفريط إذا لم تترتب عليه مفسدة، واتصال القراءة وعدم قطعها إلا لعذر، والتسبيح عند آية التسبيح، والاسترحام عند آية الرحمة، والتعوذ عند آية العذاب، والسؤال عند آية الترغيب، والكف عن القراءة عند غلبة النوم أو النعاس أو العطس أو التثاؤب، والسجود عند المرور بآية السجدة، وترديد الآية المؤثرة.

ثالثا: تحسين القراءة والتغني من غير تكلف

سلامة قراءة القارئ وحسن صوته مما يشوق إلى الاستماع ويعين على طول الإصغاء والتدبر. وقد وقف النبي صلى الله عليه وسلم مستمعا إلى قراءة أبي موسى رضي الله عنه وقال: (لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود." (مسلم، د.ت.)

فالصوت الحسن له أثر كبير في تدبر كلام الله تعالى، ولذلك حث النبي على تزيين الصوت عند قراءة القرآن الكريم فقال:) زيّنوا القرآن بأصواتكم) (النسائي، 1991) وقد أجمع أهل العلم من السلف والخلف على استحباب تحسين الصوت بالقراءة بدون تكلف. (النووي: 1994) لأن المطلوب شرعا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه، والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة. (ابن كثير، 1416هـ)

ولذا يجب على المسلم أن يجود قراءته، وينبغي أن يسعى لاكتساب الصوت الحسن لقراءة القرآن الكريم. وينبغي لمن زرقه الله تعالى حسن الصوت أن يعلم أن الله تعالى قد خصه بخير عظيم، فليجتهد في تجويد قراءته وليجعل مراده حين يقرأ القرآن الكريم للناس تنبيه أهل الغفلة من غفلتهم، فيرغبوا فيما أمر الله تعالى به وينتهوا عما نهاهم عنه، وبهذا ينتفع بحسن صوته وينفع به الآخرين.

رابعا: إخلاص النية لله تعالى

تلاوة القرآن الكريم عبادة يشترط في صحتها وقبولها الإخلاص كسائر العبادات. فينبغي أن يكون القارئ مخلصا في نيته، مبتغيا بقراءته وجه الله تعالى وثوابه، متجردا من كل غرض دنيوي. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (2) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: 2-3] وقال النووي في معرض حديثه عن آداب حملة القرآن: "وينبغي أن لا يقصد به توصلا إلى غرض من أغراض الدنيا من مال أو رياسة أو وجاهة أو ارتفاع على أقرانه أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس إليه أو نحو ذلك، ولا يشوب المقرئ إقراءه بطمع في رفق يحصل له من بعض من يقرأ عليه، سواء كان الرفق مالا أو خدمة وإن قل، ولو كان على صورة الهدية التي لولا قراءته عليه لما أهداها إليه." (ابن كثير، 1994)

ومتى كان القارئ مخلصا في نيته تمكن من التؤدة والطمأنينة والتأمل والتدبر بخلاف الذي يسرع في القراءة كي يكثر أجره من المال. ومما يعين على الإخلاص أن يزاول القارئ من الوظائف والصناعات ما يكتسب منه ولا يتخذ قراءته للقرآن وسيلة التكسب.

خامسا: الاهتمام باللغة العربية

من أعظم ما يعين على تدبر القرآن الكريم معرفة اللغة العربية، فقد أنزل الله تعالى هذا الكتاب المبارك بلسان عربي مبين. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: 2] ويتطلب فهمه فهما دقيقا معرفتها. وإذا

كان القارئ لا يعرف هذه اللغة ولا يدرك أساليب كلام العرب فأنى له أن يتدبر القرآن؟ وفي ذلك يقول الشاطبي: "فمن حيث كان القرآن معجزًا أفحم الفصحاء، وأعجز البلغاء أن يأتوا بمثله؛ فذلك لا يخرجه عن كونه عربيًّا جاريًا على أساليب كلام العرب، ميسرًا للفهم فيه عن الله ما أمر به ونهى، لكن بشرط الدربة في اللسان العربي، كما تبين في كتاب الاجتهاد؛ إذ لو خرج بالإعجاز عن إدراك العقول معانيه؛ لكان خطابهم به من تكليف ما لا يطاق، وذلك مرفوع عن الأمة." (الشاطبي، 1997) ويقول ابن تيمية مشيرا إلى أهمية تعلم العربية للمسلم: "والعربية إنما احتاج المسلمون إليها لأجل خطاب الرسول بها." (ابن تيمية، 1995) فيحسن بالمسلم، سيما المنشغل بالقرآن أن يتعلم هذه اللغة كي تعينه على فهم خطاب مولاه وتدبره، ومن ثم التأثر به والعمل بمقتضاه. ومن لا يتيسر له ذلك فليلازم تراجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة التي يفهمها، فقد ترجم القرآن إلى لغات عديدة. ومع أن الترجمة لا تحمل إلا معان سطحية للآيات في الغالب، ولكنها من باب ما لا يدرك كله لا يترك كله.

سادسا: الاستعانة بكتب التفسير المعتمدة

مع أهمية اللغة العربية في فهم القرآن وتدبره، فإنها لا تغني عن كتب التفسير؛ لأن من القرآن ما لا يدرك معناه بمعرفة العربية فحسب، إذ من الآيات ما لا يفهم معناها إلا بمعرفة سبب نزولها، ومنها الناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، ومنها ما نقل مدلوله من المعنى اللغوي الموضوع له إلى معنى شرعي تولى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان ذلك بنفسه، بل من القرآن الكريم ما استأثر الله تعالى بعلمه كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن "التفسيرُ على أربعةِ أوجهٍ: وجهٌ تعرفه العربُ من كلامها، وتفسير لاَ يُعذر أحدٌ بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لاَ يعلمه إلا الله تعالى ذكره." (الزرقاني، 1996) فالمسلم المنشغل بكتاب الله تعالى بحاجة إلى العلماء الربانيين الذين كرمهم الله تعالى برسوخ القدم في علم التفسير والقدرة على تبيينه للناس، فيرجع إلى مؤلفاتهم المباركة في فهم آي القرآن الكريم فهما سليما، كما يجدر به دراسة كتب أصول التفسير وعلوم القرآن ليقف على أصول التفسير وقواعده وغيرها من العلوم المعينة على فهم القرآن الكريم.

سابعا: فهم الغاية من إنزال القرآن الكريم

لا ريب أن تلاوة القرآن الكريم من أجل القربات ومن الغايات من إنزاله، ولكن يجب أن يعلم المسلم أن الغاية الأسمى من إنزاله هو الإيمان والعمل. فالقراءة وصيلة إلى الفهم والتدبر والوقوف على الإعجاز. والفهم والتدبر والوقوف على الإعجاز وصيلة إلى الإيمان والعمل. ومثل من يقرأ القرآن الكريم وهو لا يفهم الغاية من إنزاله كمثل رجل يمتلك أموالا طائلة وهو يعاني من الجوع والعريان، أو كمثل مريض أعطي أدوية لمرضه فيخرجها ويعددها ثم يرجعها إلى محفظته بين فينة وأخرى.

الخاتمة والتوصيات

للاستفادة التامة من القرآن العظيم لا مناص من ملازمة قراءته وبذل الجهد في فهمه وتدبره والعمل به. وقد غفل كثير من المسلمين في نيجيريا عن هذه الحقيقة. فمع أنهم يتعلون القرآن الكريم ويحفظونه كله أو بعضه، بيد أن جلهم يغفلون عن تدبر آياته وحكمه. وترجع هذه الغفلة إلى أسباب منها هجر قراءة القرآن والإصغاء إليه، وعدم فهم الغاية الأسمى من إنزاله، وقراءته للحصول على أغراض الدنيا، والإفراط في تحسين الصوت والانكباب على تتبع الأخطاء، والجهل باللغة العربية والبعد عن كتب تفسير القرآن الكريم. وإن مما يعين على التغلب على هذه الغفلة ويؤدي إلى العناية بتدبر كتاب الله تعالى ملازمة قراءته بالترسل والإخلاص والاستماع إليه بحضور القلب، وتعلم اللغة العربية ومطالعة كتب التفسير المعتمدة ومؤلفات علوم القرآن لفهم معانيه وأساليبه.

هذا، وتوصي الورقة بإعادة النظر في مناهج المدارس القرآنية وطرق التدريس فيها في هذه الدولة. فيجب ألا تقتصر مادة القرآن الكريم على تعلم القراءة وأحكام التجويد فقط، بل ينبغي أن تشتمل على التفسير. كما ينبغي التركيز على تصحيح النية في تعلم القرآن الكريم وضرورة العمل به. ويحسن كذلك إعادة النظر في الهدف من تعلم اللغة العربية وطريقة تدريسها في هذه المدارس، فلا ينبغي أن تكون الغاية من مادة العربية تعلم الحروف والقراءة فقط، بل ينبغي أن تشمل فهم اللغة والتخاطب بها لما لذلك من أهمية في فهم القرآن وتدبره، ولكي يتحقق هذا الهدف النبيل يجب تدريس مادة العربية باللغة العربية في جميع المستويات كما هو الحال مع اللغة الإنجليزية. كما توصي الورقة بتدريس المواد الإسلامية للمتخصصين في الإسلاميات باللغة العربية بدلا من الإنجليزية في جامعات نيجيريا لأن ذلك يعينهم على إتقان اللغة ويسهل لهم التعامل مع مصادر ومراجع تخصصهم بلغتها الأصلية.

المراجع

ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر الكوفي العبسي، (د.ت) مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، تعليق: سعيد اللحام، المراجعة والتصحيح: مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر، بيروت: دار الفكر.

ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك البكري القرطبي، (1423هـ/2003م) شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض: الرياض، (ط2).

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي، (1416هـ/1995م) مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني

الحنبلي (1490هـ/1980م) مقدمة في أصول التفسير، بيروت: دار مكتبة الحياة.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (1421هـ/2001م) تلبيس إبليس، بيروت: دار الفكر، (ط1).

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني الشافعي، (1379هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار المعرفة.

ابن حنبل، أحمد الشيباني، (1420هـ/1999م) المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، (ط2).

ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق السلمي النيسابوري، (1992) صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، بيروت: المكتب الاسلامي.

ابن عاشور، محمد الطاهر، (1997م) التحرير المعنى اليديد والتنوير العقل الجديد من تفسير الكتا المجيد، تونس: دار سحنون.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، (1399هـ - 1979م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر.

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، (1393هـ – 1973م)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت: دار الكتاب العربي، (ط2).

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، (1406هـ/1986م) زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت: مؤسسة الرسالة، (ط3).

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، (1393هـ/1973م) الفوائد، بيروت: دار الكتب العلمية، (ط2).

ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، (د.ت)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (1416هـ)، فضائل القرآن، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، (ط1).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (1420هـ/1999م) تفسير القرآن العظيم ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، مدينة نصر: دار طيبة، (ط2).

ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، (د.ت) السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين ممد بن مكرم الإفريقى المصرى، (1405هـ) لسان العرب، إيران: أدب الحوزة قم.

أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (د.ت) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، السنن، بيروت:

دار الفكر.

أدينجو، ناصر الدين عبد الرحيم، (2014) "المسلمون والتعامل مع القرآن الكريم في نيجيريا" ورقة مقدمة في ورشة عمل بعنوان: إن هذا القرآن يهدي للتي هي أحسن، والتي نظمها جمعية أحباب الدين الإسلامي، جوس.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفي، (1401هـ/1981م) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، بيروت: دار الفكر.

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد، (1411هـ/1990م) المستدرك على الصحيحين، تعليق: الحافظ الذهبي، بيروت، دار الكتب العلمية، (ط1).

الزرقاني، محمد عبد العظيم، (1996م) مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات، بيروت: دار الفكر، (ط1).

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (1407هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت: دار الكتاب العربي، (ط2).

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، (1420هـ -2000م) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت: مؤسسة الرسالة، (ط1).

السنيدي، سلمان بن عمر،)1423م-2002م) تدبر القرآن، مجلة البيان، (ط2).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (1394هـ/1974م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الإتقان في علوم القرآن، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، (1417هـ/1997م) الموافقات في أصول الفقه، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الجيزة: دار ابن عفان، (ط1).

الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني، (1379هـ/1960م) سبل السلام شرح بلوغ المرام، مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، (ط4).

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير، (1404هـ/1983م) تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، (ط2).

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (1420هـ/2000م)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة، (ط1).

عبد الرزاق، أبو بكر بن همام الصنعاني، (1403هـ) المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت: المكتب الإسلامي، (ط2).

العيني، بدر الدين الحنفي، (د.ت) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، نسخة المكتبة الشاملة، الإصدار 3،15

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (د.ت) إحياء علوم الدين، بيروت: دار االمعرفة.

المروزي، أبو عبد الله محمّد بن نصر، (1408هـ/1988م) مختصر قيام اللّيل وقيام رمضان وكتاب الوتر، اختصار:

أحمد بن عليّ المقريزيّ، فيصل أباد، باكستان: حديث أكادمي.

مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (د.ت) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، (1406هـ/1986م) المجتبى من السنن، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، (ط2).

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (1411هـ/1991م) السنن الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، بيروت: دار الكتب العلمية، (ط1).

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الدمشقي، (1414هـ/1994م) الأذكار النووية، بيروت: دار الفكر.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الدمشقي، (1414هـ/1994م)، التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق: محمد الحجار، بيروت: دار ابن حزم، (ط3).